
مجلة المنهل • المجلد: 08، العدد: 02 (2022 م) • ص ص 157 – 174
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

تجليات السنن الإلهية في قصة يوسف عليه السلام.

The manifestations of divine laws in the story of Joseph.

رشيد بريشو(*)
جامعة ابن طفيل، كلية اللغات
والآداب والفنون القنيطرة (المغرب)
Berrichou1988@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022/09/30	2022/12/23	2023/01/13



ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تجلية السنن الإلهية المتضمَّنة في سورة يوسف عليه السلام، وذلك بتتبع شخصياتها وأحداثها واستكناه الدلالات والمعاني المرتبطة بها، فالله عز وجل خلق هذا الكون بشكل محكم له نظام، خاضع لثوابت كونية يجري سلطانها على كل المخلوقات، وجعل الإنسانَ المخلوق الوحيد الممتلك لقدرة الفهم والتحليل، لأنّه حباه بملكة العقل، مما يجعل هذه السنن واضحة لديه لا ينكرها إلا جاهل.

ومن بين النتائج المتوصل إليها أنّ قصة يوسف تحفل بالعديد من السنن الإلهية المطردة التي يمكن الاستفادة منها كسنة التداول والنصر والتمكين، فالقصص القرآني من بين الوسائل التي اعتمدها الله تعالى لتثبيت قلب نبيه الكريم، بسرد قصص الأنبياء والأمم السابقة، وتعليم عباده وتربيتهم على القيم الإسلامية وتحذيرهم من الوقوع في زلّات الأقوام الغابرة. ولكي نبرز هذه السنن الكونية –في القصة موضوع الدرس– كان لزاما علينا التوسل بالمنهج الوصفي التحليلي، لأنه الأنسب لمثل هذه الدراسات، كما اتبعنا خطة محكمة بحيث قسمنا الدراسة إلى شقين، شق نظري توقفنا فيه عند تحديد المفاهيم، وآخر تطبيقي خصصناه لدراسة سنة التداول والنصر والتمكين في قصة يوسف عليه السلام.

الكلمات المفتاحية:

القصة القرآنية؛ السنن الإلهية؛ سورة يوسف.

Abstract :

This study seeks to clarify the divine laws contained in “Surat Yusuf”, By tracing its characters and events and extracting the connotations and meanings associated with them, God Almighty created this universe in a tight manner that has a system, subject to cosmic constants whose authority is over all creatures.

Among the results reached is that the story of Yusuf is full of many steady divine laws that can be used as the year of circulation, victory and empowerment. In order to highlight these

(*) المؤلف المراسل.

cosmic laws - in the story the subject of the lesson - it was necessary for us to use the descriptive analytical method.

Keywords: Quranic story; divine laws; Surah Yusuf .

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، أصدق الخلق حديثا، وأفصح العرب لسانا، آتاه الله جوامع الكلم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، أما بعد:

لقد خلق الله تعالى هذا الكون الواسع المترامي الأطراف وفق نظام محكم خاضع لقوانين ونواميس مطردة، لها صفة العموم والشمولية، والثبات والدوام، والاستمرار، فهي منظومة كلية ناظمة لحياة البشرية، وللوجود بأكمله في منشئه وسيرورته ومصيره. فكل المخلوقات على مسافة واحدة من هذه السنن، إذ لا تحابي أحدا من الخلق، ولا تختلف ولا تتخلّف. فالأخذ بالأسباب –مثلا– سنة كونية سارية على كل العباد والخلائق، ويعتبر العمل بها من صميم تحقيق العبودية لله تعالى، فلا يمكن تخيل نزول مطر بغير سحاب، ولا حياة لأرض بغير ماء. قال تعالى: {وتر الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج}(النحل: 65).

إنّ الإيمان بالله تعالى والاعتقاد والتوكل عليه لا ينافي أبدا الاستفادة من سننه تعالى، والتي جعلها في هذا الكون نموسا مطردا. ونجد في سيرة نبينا ما يشفي الغليل في هذا الباب، فهي حبلى بالمواقف التي تبين مدى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم للسنن الكونية، فهجرته كانت على أساس تخطيط دقيق ومحكم، حيث اتخذ جميع الأسباب التي دلّلها له ربه تعالى كي تنجح هجرته إلى المدينة المنورة، فسنّة الأخذ بالأسباب تجلت في مواقف عدة: كان أولها بعث مصعب بن عمير سفيرا إلى المدينة كي يهيء الظروف لاستقباله صلى الله عليه وسلم، وثانيها الاستعانة بالكتمان حتى لا يعلم المشركون بهجرته صلى الله عليه وسلم، وثالثها اتخاذه أبا بكر الصديق رفيقا له في الطريق، وأمره عليا بالمبيت في فراشه.. كلها أسباب توسل بها النبي الأمين في هجرته، دون أن ينسى –إلى جانب الأخذ بالأسباب– التوكل على خالق الأسباب.

لقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بعثته على بناء الإنسان، وذلك بالاعتماد على عدة وسائل منها القصص المنزَّل عليه، فالقصة إحدى النوافذ الدلالية الهادفة، فهي عبرة وعظة لكل مسلم أخلص لعقيدته السمحة التي جاءت للعالمين تبيانا للحق وموعظة لصاحب كل لب وعقل، لذا "يجب أن يتحول ذكر القصص للمسلمين، من قبل الكاتبين والمتحدثين والواعظين، من كونه هدفا أساسيا، إلى جعله وسيلة ضرورية، فلا نهدف إلى مجرد إمتاع أسماع السامعين، وتقديم روايات وأقاصيص يطربون منها ويتلذذون

بها، ويشبعون بها حاستهم الفنية، بل نهدف إلى أن نجعلهم، يتفكرون فيما يسمعون، فيستخرجون منه دروسا في الإيمان والدعوة والجهاد والثبات، إنّ ذكر القصص وسيلة لابد منها من وسائل الدعوة، وأسلوب ضروري لإحقاق الحق ومحاربة الباطل، إنّ السامعين يفرقون بين رجلين من المتحدثين: بين رجل يعرض أفكاره ودعوته عليهم من خلال القصص، وبين رجل يعرض لأفكار نظرية مجردة مثالية جافة، إنهم يتفاعلون مع الأول منها، ويتأثرون به وينقادون إليه" (الخالدي، 2020، الصفحات 25-26).

ونظرا للأهمية الكبرى التي تتمتع بها القصة القرآنية عند المسلمين، ارتأينا أن نُسْهم بهذه الورقة من أجل تعميق البحث واستخراج السنن الإلهية التي تحفل بها قصة يوسف عليه السلام.

- **مشكلة الدراسة:**

اتضح مما سبق أن القصص القرآني يهدف بالأساس إلى التربية على القيم النبيلة وأخذ العبر والدروس، والملاحظ أنّ أغلب الدراسات التي تناولت القصص القرآني اتسمت بنوع من النقص، نقص في تجلية السنن الإلهية، من خلال تفسير آياتها واتباع أحداثها وشخوصها والنظر في مقاصدها وأسباب نزولها، وعليه، فقد أصبحت الحاجة ماسة اليوم إلى دراسة القصة القرآنية وفقا لهذا المنظور.

في ضوء ذلك تحددت إشكالية الدراسة في محاولة الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

ماهي تجليات سنة التداول والنصر والتمكين في قصة 'يوسف عليه السلام'؟

ويتفرع عن هذا السؤال التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما مفهوم القصة القرآنية (سورة يوسف)؟
- ما المقصود بالسنن الإلهية؟ وما الوسائل المساعدة للكشف عن السنن الإلهية في سورة يوسف؟
- ما السنن الإلهية الواردة في سورة يوسف عليه السلام؟

- **فرضيات الدراسة:**

انطلاقا من التساؤلات السابقة يمكن صياغة فرضيات الدراسة كما يلي:

- القصص القرآني وسيلة من وسائل الدعوة ونشر القيم من خلال إبراز السنن الإلهية.
- قصة 'يوسف عليه السلام' حبلى بالسنن الإلهية.

- **أهمية البحث:**

تكمن أهمية الدراسة في محاولة تجلية السنن الإلهية في قصة 'يوسف عليه السلام'، كما تسعى إلى إبراز المعاني والدروس التي يمكن استخلاصها منها.

2.فرش مفهومي:

2،1. مفهوم القصة القرآنية:

جاء في لسان العرب أن القصة هي:" الخبر وهو القصص. وقصّ علي خبره يقُصه قصا وقصصا، أورده. والقَصَص: الخبر المقصوص، والقِصص، بكسر القاف، جمع القصة التي تُكتب" (الإفريقي، 2010، صفحة 73).

أما صاحب القاموس المحيط فيرى أن كلمة "قص" تعني: "قَصَّ الأثر قصا: تتبعه، وقص الخبر: أَعْلمَه. والقاص: من يأتي بالقِصة. وتقصص كلامه: حفِظه (الفيروزآبادي، 2005، الصفحات 627-628)، فالقصة هنا بمعنى تتبع الأثر والإتيان بالقصة على وجهها. وأن القص والخبر مترادفان، والقَصص هي الخبر المقصوص (المحكي)، و القاص هو الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها.

فإذا ما تأملنا في الدلالات اللغوية للقصة نجد أن كل التعاريف المقدمة لا تكاد تفصل بينها وبين الخبر، ولعل هذا راجع بالأساس إلى طبيعة تلك البيئة المعجمية القديمة المهتمة بشأن المفردات وبيان مرادفاتها على نحو عام، حيث لم تكلف نفسها البحث الدقيق في الفروق الحاصلة بين المفردات.

أما من الناحية الاصطلاحية فتُعرَّف القصة بأنها: "فن أدبي قديم صاحب الأمم من عهد البداوة وإلى عهد ذروة الحضارة، ومكانة -هذا الفن- ممتازة بين الفنون الأدبية لمرونته، واتساعه للأغراض المختلفة، ولجمال أسلوبه، وخفته على النفوس، وقد بلغ به القرآن ذروة السمو والكمال" (الأشقر م.، 1995، صفحة 320). وقد تعددت أنواعه، فمنه الحقيقي كالرحلات، والخيالي، كقصة كليلة ودمنة، ومنه الأدبي القصير كالمقامات، والحماسي الطويل كقصة عنترة...

ويعرف عمر سليمان القصة بأنها: "فن حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود" (الأشقر ع.، 2007، صفحة 12).

والقصة، في المدلول الشامل للكلمة، "لون من ألوان الأدب القصصي، الذي يروي الأخبار، على أنواعها، ويعرض الأحداث، وينقل المآثر، ويسوق الحكايا والنوادر، وينسج الأساطير والخرافات، طلبا للمتعة والفائدة" (يعقوب و عاصي، 1987، صفحة 979).

وكان للقصة القرآنية الدور الكبير في التبليغ عن الأحداث والمواقف التي عرفتها الأزمان الغابرة، وهو قصص حق كله لا يأتيه الباطل من أي جانب، فالرسول صلى الله عليه وسلم تحدث بلسان صدق، فهو الذي قال فيه تعالى: {وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى}(النجم: 3-4)، وقص هذا القصص

عن السابقين، ليكون عبرة للاحقين بوحي من علام الغيوب سبحانه وتعالى، وفيه من مواطن الروعة والجمال والإبداع وأسرار البيان ما فيه، وهو ضرب من ضروب الأدب يصغي إليه الإنسان، فتترسخ عبره وأمثاله في النفس لحلاوته وعذوبته، قال تعالى: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الأباب}(يوسف: 111). لذلك فإنّ منزلة القصص القرآني عالية عند جميع المسلمين، لأنه كلام الله تعالى الذي {لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}(فصلت: 42). ويعد القصص القرآني من المنابر التي ارتكز عليها نبينا صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالته، ولنشر دعوته، وتثبيت النفوس على دين التوحيد، وترسيخ القيم الأخلاقية في المجتمع.

2،2. التعريف بسورة يوسف:

سُميت سورة يوسف لإيراد قصة النبي يوسف عليه السلام فيها (الزحلين، 1991، صفحة 188)، وهي السورة الثانية عشرة من سور القرآن الكريم، وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة، وكلماتها ألف وستمائة وحروفها سبعة آلاف ومائة وستة وستون، وهي إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء.

وقد نزلت سورة يوسف بعد سورة هود، في تلك الفترة الحرجة بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل الله فيهما لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وللعصبة المسلمة معه وللدعوة الإسلامية فرجا ومخرجا بالهجرة إلى المدينة.. وعلى هذا فالسورة واحدة من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة وفي حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم– والعصبة المسلمة معه في مكة (قطب، 1976، صفحة 1949).

وقال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلّها إلا أربع آيات منها. ورُوي أنّ اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف، فنزلت السورة. وقال سعد بن أبي وقاص: أُنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: لو قصَصْت علينا، فنزل: {الر تلك آيات الكتاب المبين} إلى قوله: {نحن نقص عليك} فتلاه عليهم زمانا فقالوا: لو حدّثتنا، فنزل: {الله نزّل أحسن الحديث} (الزمر: 23) (القرطبي أ.، 2006، صفحة 240).

3. السنن الإلهية:

3،1. أوجه السنن الإلهية وخصائصها:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور أنّ سنة الله: "أحكامه وأمره ونهيه، وسننها الله للناس، أي بينها، وسنّ الله سنة: أي بين طريقا قويما، والسنة السيرة، حسنة كانت أو قبيحة" (الإفريقي، 2010).

والسنة هي المنهج والطريقة، فقد جاء في القاموس المحيط مايلي: "يقال: استقام فلان على سنن واحد

ويقال: امض على (سننك) أي: على وجهك، وتنح عن (سنن) الطريق و(السنة): السيرة" (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 1207).

وقال الإمام الرازي في تفسيره: "والسنة: الطريقة المستقيمة والمثال المتبع" (الرازي ف.، 1981، صفحة 11)، وقال صاحب تفسير المنار: "السنن جمع سنة، وهي الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة أو المثال المتبع" (رضا محمد، 1974، صفحة 140).

تكاد أغلب أقوال أهل اللغة تكون متشابهة في تحديد مفهوم السنة، إذ عدوها الطريقة والسيرة، وقد تكرر في الحديث النبوي الشريف ذكر السنة، وقُصِد بها اتباع الطريقة المحمودة المستقيمة، ومنه جاء وصفنا لمن يتبع سنة وطريقة نبينا الكريم بـ(أهل السنة).

وسنة الله تعالى هي: "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة" (زيدان، 1993، صفحة 13). فالإنسان خاضع لهذه السنن الإلهية منذ نشأته، "والكائنات الحية –بما فيها الإنسان– تخضع لهذا القانون، فخلق الإنسان والأطوار التي يمر بها في بطن أمه يخضع في ذلك كله إلى هذا القانون العام الثابت" (زيدان، 1993، صفحة 5). ولهذا القانون العام وجهان:

- **الوجه الأول:**

وهو المتعلق بالجانب المادي المحسوس، وتخضع له جميع الكائنات بما فيها الإنسان، كما يعلمه كل البشر، إذْ لا يختلف في وجوده العقلاء، "وهذا الوجه من القانون العام وما يخضع له مما ذكرناه من الأمور المادية للكائنات، أقول هذا الوجه من هذا القانون لا يختلف في وجوده أهل العلم بهذه الأمور المادية، ولا يختلفون في خضوع ما ذكرناه له" (زيدان، 1993، صفحة 7).

ومن سمات هذا القانون العام في وجهه الأول، ثباته واستمراره بدليل اطراد أحكامه وسريانها على الحوادث والظواهر التي يحكمها هذا القانون، فالأرض يحيا بالمطر ويخرج منها النبات، قال تعالى: {وآيةٌ لهمُ الأرضُ الميتةُ أحييناها وأخرجنا منها حبّا فمنهُ ياكلونَ} (يس: 33)، وكذلك جريان الشمس والقمر، وجريان الفلك في البحر وفقا لهذا القانون العام، ومما يدل على ثبات هذا القانون بوجهه الأول الذي نتكلم عليه: أنّ الله تعالى يلفت الأنظار إلى هذه الظواهر الكونية، ويجعلها من الآيات الدالة على خالقيته وربوبيته لقوم يعقلون ويتفكرون،ولولا اطراد حدوثها مما يدل على خضوعها لقانون ثابت لما صح لفت النظر إليها واعتبارها من آيات الله تعالى (الجليل، 1439، الصفحات 46-47).

- **الوجه الثاني:**

وهو الذي يتعلق بالجانب الاجتماعي، أي السنن "التي جعلها الله تعالى تحكم حياة البشر ويسير الله عز وجل أمورهم وأحوالهم بها، كسنن السعادة والشقاء، وسنن السراء والضراء، والهدى والضلال، والأسباب ومسبباتها، ويتسم هذا النوع من السنن بالثبات والاطراد، والعموم والشمول" (الجليل، 1439، الصفحات 48-49)، والإيمان بأن كل العلاقات والأمور الاجتماعية في الدنيا يترتب عليها جزاء في الآخرة، وهذا القانون العام يخضع له البشر باعتبارهم أفرادا وجماعات، ويُقصد بخضوعهم له: "خضوع تصرفاتهم وسلوكهم في الحياة وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية أو الضيق في العيش، والسعادة والشقاء.. ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا وما يصيبهم في الآخرة من عذاب أو نعيم وفقا لأحكام هذا القانون بوجهه الثاني (زيدان، 1993، صفحة 12).

وتتميز السنن الكونية بخصائص، منها: الثبات والاطراد والعموم:

هي ثابتة لقوله تعالى: {سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا}(الأحزاب: 62). وقال تعالى: {فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا}(فاطر: 43). فهي ثابتة في كل زمان ومكان، لا تختلف ولا تتخلف رغم تغير الظروف والأزمان.

وهي مطردة، والدليل على ذلك ما وصلنا من قصص الأمم السابقة وما حل بهم، ولولا اطرادها ما كان لنا أن نأخذ الدروس والعبر ممن سبقنا. "ويدل على اطرادها: أنّ الله قص علينا قصص الأمم السابقة وما حل بها من العقوبات لنتعظ ونعتبر، ولا نفعل فعلهم، فيصيبنا ما أصابها، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها، كما قال تعالى معقبا على ما حل بيهود بني النضير من الذلة والجلاء عن المدينة: {فاعتبروا يا أولي الأبصار}(الحشر: 2)، أي: احذروا أن تفعلوا فعلهم، فيحل بكم ما حل بهم" (الجليل، 1439، صفحة 49).

ويتجلى مظهر العموم فيها، في قوله تعالى: {أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر}(القمر: 43)، وقال سبحانه وتعالى: {ليس بأمنيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجزى به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا}(النساء: 123)، أي أن كل المخلوقات على نفس المسافة منها، فهي لا تحابي أحدا، فالكل خاضع لها وإن لم يؤمن بوجودها.

وعليه، يمكن القول: إنّ للسنن الإلهية وجهين: وجه كوني متعلق بكل المخلوقات، ووجه اجتماعي مرتبط بحياة الإنسان، "وتشترك السنن الكونية والاجتماعية في كونهما يتسمان بالثبات والإطراد، ولكنهما يختلفان -بالاستقراء- في كون السنن الكونية واضحة بينة مضبوطة، يسهل التعرف عليها، بحيث إذا

عُرفت أمكن الحكم على نتائجها وميقات هذه النتائج، فالماء مثلا يتجمد إذا بلغت برودته درجة معينة، ويغلي عند درجة معينة، ومن ذلك معرفة كسوف الشمس والقمر، ومواسم الأمطار وغيرها، وكذلك كون النار تحرق، والجاذبية تجذب الأشياء من الأعلى إلى الأسفل، وهكذا" (الجليل، 1439، صفحة 50). "أما السنن الاجتماعية فتختلف عن الكونية في كون أسبابها دقيقة ومتشعبة وطويلة الأجل، فقد يصعب على كثير من الناس الإحاطة بها تفصيلا، إلا بعد التأمل والفحص الدقيق في أسبابها ونتائجها، كما تختلف عنها أيضا في كونها –وبالاستقراء– لم نعلم أن الله عز وجل قد خرقها لأحد من خلقه، بل جعلها الله عز وجل عامة للجميع" (الجليل، 1439، صفحة 53).

والمؤمن العارف بربه يوقن أنّ الله عز وجل قادر على أن يخرق لأوليائه السنن الكونية إذا كانوا أهلا لذلك، كما فلق البحر لموسى صلى الله عليه وسلم. يخرقها الله عز وجل عندما يأذن بخراب الكون عند قيام الساعة، حيث تتبدل الأرض غير الأرض والسموات، وتتغير النواميس والسنن التي كانت في الدنيا إلى سنن جديدة ونواميس مختلفة عن النواميس والسنن التي كانت في الدنيا، وهذا في غيب الله عز وجل (الجليل، 1439، صفحة 52).

وتعد القصة القرآنية –كما وضحنا آنفا– مجالا لإبراز هذه السنن الإليه، فالله عز وجل أيد نبيه الكريم بهذا النوع من الوحي كي يبين له ولمن اتبعه أنّ الكون ومن يسكنة، سائرٌ وفق قوانين ثابتة ومطردة. لذا سنعمل، من خلال هذا البحث، على استخراج السنن الإلهية التي تحفل بها سورة يوسف عليه السلام، حيث لاحظنا، بعد القراءة المتأنية لها، أنها تتضمن العديد من السنن الكونية والاجتماعية، لكننا ستكتفي –لضيق المجال– بعرض بعضها خاصة المتعلق بالوجه الثاني منها (السنن الاجتماعية)، وذلك بالتركيز على سنة التداول والنصر والتمكين.

ومن أجل ذلك سنعرض للطرق التي سنتَّبعها للكشف عن هذه السنن:

2،3. طرق الكشف عن السنن الإلهية في سورة يوسف الثاني:

أ. الأساليب اللغوية والفنية في السورة:

إنّ سورة يوسف عليه السلام تضمنت قصة النبي يوسف كاملة، من البداية إلى النهاية، ومن ثَمّ فهي جاءت بأسلوب لغوي يغلب عليه طابع السرد، حيث إنها "تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والتربوي والحركي أيضا" (قطب، 1976، صفحة 1951)، ومن الخصائص الفنية للقصة أنها: تسرد أحداثا وشخصيات وتذكر للفضاء الزماني والمكاني...، لذا سنعتمد أثناء عرضنا للسنن الإلهية الوارد في القصة على هذه الخصائص الفنية واللغوية.

ب. المقصد الكلي والمقاصد الجزئية للسورة وعلاقتها بالسنن الواردة في السورة:

لاشك أن سورة يوسف عليه السلام تحمل من المقاصد الكثير، إلا أنّ أهم مقصد لها هو أخذ العِبَر والدروس مما وقع للنبي يوسف عليه السلام، فالله عز وجل يقصُّ على نبيه الكريم ومن اتبعه ليس ليسليهم وإنما لأخذ العِبر، وبيان ذلك قوله تعالى في آخر السورة: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب}(يوسف: 111).

كما أن للقصة مقاصد أخرى جزئية منها ما يتعلق بالإعجاز اللغوي، فالله عز وجل وصفها بأحسن القصص، وقد اختلف المفسرون في تحديد معنى ذلك، ومن ذلك ما جاء عند القرطبي (القرطبي أ.، 2006، الصفحات 243-244):

قيل: سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم -بعد الالتقاء بهم- عن ذكر ما تعاطوه معه، وكرمِه في العفو عنهم، حتى قال: {لاتثريب عليكم اليوم} (يوسف: 92).

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والجن والإنس، والأنعام والطير، وسير الملوك والمماليك والتجار، والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهنَّ ومكرهنَّ، وفيها ذكر التوحيد والفقة والسير، وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجُمَل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل: لأنَّ فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما. وقيل: "أحسن" هنا بمعنى: أعجب.

وقال بعض أهل المعاني: إنَّما كانت أحسن القصص لأن كلّ من ذُكر فيها كان مآله السعادة؛ انظر إلى يوسف وأبيه وأخيه، وامرأة العزيز، قيل: والملِك أيضا أسلم بيوسف وحَسُن إسلامه، ومُسْتَعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال، فما كان أمر الجميع إلاَّ إلى خير.

إنّ قصة يوسف عليه السلام تحمل من المقاصد الكثير، فهي تعلمنا الصبر والحلم والعفو عند المقدرة، وتعلمنا الصدق في القول والفعل، وتعلمنا البر بالوالدين والإحسان إليهم...

ت. سياق النزول وعلاقته بالسنن الإلهية الواردة في السورة:

إنّ السياق الذي نزلت فيه سورة يوسف كان عسيرا بالنسبة لمحمد صلى الله عليه ومَن آمن معه، فقد نزلت في المرحلة المكية، حين طَردت قريش الرسول ومَن آمن معه، وهي نفس الفترة التي فقد فيها نبينا الكريم أمنا خديجة وعمه أبو طالب الذي كان نصيرا له.

هذه العناصر الثلاثة التي ذكرنا، ستكون سندا لنا في الكشف عن السنن الإلهية الواردة في السورة، حيث سنكتفي بعرض ثلاث سنن فقط، وهي: سنة التداول، والنصر، والتمكين.

• **سنة التداول:**

سنة التداول من السنن الكونية الاجتماعية والتاريخية، وينطبق عليها ما قلناه عن السنن الإلهية من اطراد وثبات وعموم، وهناك من يطلق عليها اسم سنة الاستبدال أو التغيير الاجتماعي والحضاري، والتي تعني التعاقب والتناوب الحضاري، أي صعود الحضارات وسقوطها، و ميلاد الأمم ووفاتها، ونشوء الدول وزوالها، وتداول القيادة وتناقلها، قال تعالى: {وتلك الأيام نداولها بين الناس} (آل عمران: 140).

وسنة التداول تكون بالانقلاب من حال ووضع إلى حال ووضع آخر، أي من الوضع السيء إلى الوضع الحسن أو العكس، يقول الله تعالى: {إنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}(الرعد: 11)، فهذه الآية القرآية بمثابة قاعد تؤطر سنة التداول، فالتغيير إلى الأفضل يكون بالبدء بتغيير دواخل الأنفس من عقائد ومفاهيم وأفكار وممارسات، "وهكذا بين القرآن الكريم أثر الإنسان في التغيير، وأنه مركز الثقل في حركة التاريخ، وجعله مدار الحركة التاريخية، وأوكل إليه مهمة التغيير والبناء، وكلفه بتحقيق الخلافة الإلهية على الأرض، وإنشاء العمران عليها.." (الغلبزوري).

• **سنة النصر التمكين:**

التمكين من الناحية اللغوية يعني القدرة والاستطاعة، والتمكين "مصدر الفعل (مكّن) الذي يتكون من الحروف (م، ك، ن) يقال: (مكنه) الله من الشيء (تمكينا) و(أمكنه) منه بمعنى، واستمكن الرجل من الشيء و(تمكن) منه، وفلان لا (يمكنه) النهوض أي لا يقدر عليه. ومن التمكين: المِكنة تقول العرب: إن فلانا لذو مكنة من السلطان أي تمكن، وتسمي العرب موضع الطير مَكِنة لتمكن الطير فيه، والمكانة عند العرب هي المنزلة عند الملك" (الصلابي، 2009، صفحة 17).

وعليه، يتضح بجلاء أن التمكين في اللغة يعني: السلطان والملك، والقدرة والمكانة الاجتماعية المرموقة.

وقد أشار الله عز وجل لسنة التمكين في قوله: {إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا}(الكهف: 84)، وقال تعالى: {ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين}(الأنعام: 6).

إنَّ الله عز وجل مكَّن لأقوام كثيرة في الأرض، ومدّهم بالقوة والسلطان، وأعطاهم من أسباب الخصب والنماء، لكن عصوا ربهم وتكبروا وتجبروا، فأخذهم بذنوبهم، وأهلكهم وكانوا من الغابرين دون أنْ يتركوا خلفهم خواء أو فراغا، ثم جاء بقوم من بعدهم.

ويمكِّن الله تعالى لعباده ولو كانوا عاصين له معرضين عنه، لكن من سننه تعالى أن يجزي الظالمين بظلمهم، ولو بعد حين، "وإنه لمما يخدع الناس أن يروا الفاجر الطاغي، أو المستهتر الفاسد، أو الملحد الكافر، ممكَّنا في الأرض، غير مأخوذ من الله.. ولكن الناس إنما يستعجلون.. إنهم يرون أول الطريق أو وسطه، ولا يرون نهاية الطريق.. ونهاية الطريق لا تُرى إلا بعد أن تجيء! لا تُرى إلا في مصارع الغابرين بعد أن يصبحوا أحاديث.. والقرآن الكريم يوجه إلى هذه المصارع ليتنبه المخدوعون الذين لا يرون –في حياتهم الفردية القصيرة– نهاية الطريق، فيخدعهم ما يرون في حياتهم القصيرة، ويحسبونه نهاية الطريق" (الجليل، 1439، الصفحات 67-68).

- **شروط التمكين وأسبابه:**

إن التمكِين في الأرض متعلق بشروط وأسباب، متى ما تحققت تحقق معها التمكين والأمن، والله عز وجل أشار لهذا في مواقع عدة من كتابه الكريم. قال الله تعالى: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلن من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يُشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}(النور: 55).

لقد عرضت الآية الكريمة لشروط التمكين، وهي: الإيمان بالله وإخلاص العبادة له، والقيام بالأعمال الصالحة، مع الحرص على فعل الخير بكل أنواعه، والوقوف أمام الشرك والمشركين.. "إن من شروط التمكين لدين الله تعالى في الأرض تحقيق الإيمان الذي يريده الله وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم وتجسد في حياة أصحابه" (الصلابي، 2009، صفحة 180).

ولكي ينال العبد النصر من الله لابد أن يأخذ بأسبابه، ومن هذه الأسباب: "الاستقامة في الحرص على توفير أسباب النصر المادية والمعنوية، واستجماع المقومات التي يستنزل المؤمنون بها نصر الله ولا شك أنهم إنما ينتصرون لملازمتهم للجادة المستقيمة –من جهة– ولبذلهم الجهد الواجب في تحصيل أسباب النصر –من جهة ثانية" (الصلابي، 2009، صفحة 400). فالنصر يأتي بالاعتماد على أمرين أساسيين لا يمكن التفريق بينهما، الأول: التوكل على الله، واليقين بأن لا ناصر إلا هو، ولا غالب إلا هو. والثاني: الأخذ بأسباب النصر واتخاذ الوسائل المؤدية إليه. فمن الخطأ أن يهمل المسلم التوسل بالأسباب المادية الممكنة، من الصناعة، والتخطيط، والإدارة وغيرها، متوهما أن النصر يأتي بدونها، لأن تحقيق ذلك هو من مقتضيات الاستقامة على أمر الله.

4. تجليات سنة التداول والنصر والتمكين في سورة يوسف:

قبل الدخول في ذكر تجليات سنة التداول والنصر والتمكين في قصة "يوسف"، يحسن بنا أولا عرض ملخص للقصة:

عرضت هذه السورة قصة النبي يوسف عليه السلام بجميع فصولها المثيرة، المفرحة منها والحزينة، فكانت البداية ببيان منزلة يوسف عند أبيه يعقوب، ثم علاقته بإخوته: (تآمرهم عليه، وإلقاؤه في الجب، وبيعه بثمن بخس...)، إلى أن شبّ في بيت عزيز مصر، ليذكر الله عز وجل محنته مع امرأة العزيز التي شغفها حبا، فكان السجن مصيره بعد رفضه الاستجابة لرغبها، ثم جاءت بوادر الفرج عند تفسيره لرؤيا الملك، وتولي منصب وزير المالية والتجارة بأمر من الملك، وقدوم إخوته قصد التزود بالمأونة ثم احتجاز يوسف لأخيه (بنيمين)، واستعادة يعقوب نعمة البصر حين جاءه البشير بقميص يوسف، وكانت النهاية بلقاء يوسف بأبويه وجميع إخوته ليكون مشهد النهاية تحقيقا لرؤياه عليه السلام.

أ. تجليات سنة التداول:

إنَّ قصة يوسف عليه السلام تحكي من الأحداث الكثير، وتقدم من الشخصيات الكثير، وتعرض من الأماكن والمؤشرات الزمانية الكثير أيضا... وحتى نستجلي سنة التداول في هذه القصة ارتأينا أن تكون البداية بالجانب اللغوي والفني، ومن أجل ذلك وجب علينا عرض أهم أحداث وشخصيات القصة:

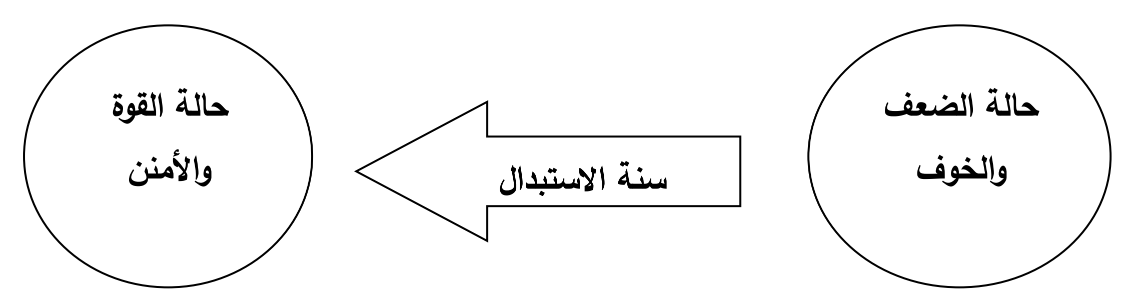
- وصف علاقة يوسف بأبيه، التي كان يطبعها الحب، وعلاقته بإخوته، التي يطبعها الحسد.
- تحذير النبي يعقوب ابنه يوسف من إخبار إخوته برؤياه.
- إقناع الإخوة أباهم للسماح ليوسف بمرافقتهم في رحلة الرعي.
- إلقاء الإخوة بيوسف في الجب، والعودة إلى أبيهم عشاء يبكون.
- عثور بعض المارة على يوسف في الجب.
- بيعه لعزيز مصر فاتخذه ولدا.
- شغف امرأة العزيز بجمال يوسف بعدما صار شابا.
- امتناع يوسف عن الوقوع في الحرام، وتفضيله السجن على الردوخ لرغبات امرأة العزيز.
- خروج يوسف من السجن بعد تفسير رؤيا الملك.
- تولي يوسف منصب وزير المالية والأمين على خزائن مصر.
- مجيء إخوة يوسف إلى مصر قصد التزود بالطعام.
- احتجاز يوسف لأخيه بنيمين، واستعادة أبيه للبصر بسبب القميص.
- استدعاء يوسف لأبيه وإخوته وأهله للحضور إلى مصر.

- عفو يوسف عن إخوته، وتحقق رؤياه بسجود أبويه وإخوته الأحد عشر.

إنّ تتبعنا لأحداث القصة وشخصياتها يكشف بالملموس وجود سنة التداول (الاستبدال) فيها، حيث أبدل الله عز وجل نبيه يوسف حالةَ الضعف والخوف بحالةِ القوة والأمن، فقد أظهر الله تعالى –من خلال أحداث القصة من البداية إلى النهاية– سنة الاستبدال، إذْ بدأت بأحداث تعكس حالة الخوف والضعف، وذلك ظاهر في ردِّ الأب بعدما أخبره يوسف عليه السلام برؤياه، قال تعالى: {قال يابنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إنّ الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين}، فالبداية جاءت متّسمة بالخوف من الكيد {فيكيدوا لك كيدا} أي: "يحتالوا في هلاكك؛ لأنّ تأويلها ظاهر، فربما يحملهم الشيطان على قصدِكَ بسوءٍ حينئذ. واللام في (لك) تأكيد" (القرطبي أ.، 2006، صفحة 247). كما أنّ لفظ (كيدا) جاء مؤكدّا هذا المعنى، فهو مصدر من الفعل كاد وهو منصوب على المفعولية المطلقة، ونعلم أن من بين مقاصد المفعول المطلق التوكيد.

ويمكن عرض سنة الاستبدال في السورة بناء على أحداثها على الشكل الآتي:

الشكل 1: سنة الاستبدال انطلاقا من أحداث القصة.



إنَّ القصة تعرض لشخصية يوسف عليه السلام، وهي الشخصية الرئيسة في القصة، عرضا كاملا، من مرحلة الصبى إلى مرحلة الشباب والرجولة، كما تعرض أنواع الابتلاءات التي تعرضت لها تلك الشخصية الرئيسة في القصة، وهي ابتلاءات متنوعة في طبيعتها واتجاهاتها.. ابتلاءات الشدة وابتلاءات الرخاء، وابتلاءات الفتنة بالشهوة، والفتنة بالسلطان. وابتلاءات الفتنة بالانفعالات والمشاعر البشرية تجاه شتى المواقف وشتى الشخصيات (قطب، 1976، صفحة 1952).

وعند تتبعنا لهذه الشخصية في القصة، سنجد أنها مرت بمراحل متعددة: مرحلة الصبى، التي كانت عسيرة بفعل غيرة الإخوة ومحاولة قتل يوسف، ومرحلة النشأة، والتي تميزت بنوع من العسر أيضا، خاصة لمّا حاولت امرأة العزيز إيقاع يوسف في الرذيلة، ثم مرحلة السجن، التي مرت عصيبة على يوسف، لكونها حرمته من الحرية وفرضت عليه العيش مع أناس لا يؤمنون بالله تعالى...، وأخيرا مرحلة الانعتاق ومعانقة الحرية، بل الحصول على منصب كبير في الدولة ومكانة عالية بجوار الملك.

كل هذه المراحل التي ذكرنا، تدل على أن بطل القصة استفاد من سنة الاستبدال، فقد انتقل من حالة الضعف والعبودية والخوف، إلى حالة القوة والسيادة والأمن.

ونفس الشيء ينطبق أيضا على بعض شخصيات القصة، إذْ نجد أن الأب يعقوب أيضا أبدله الله عز وجل حالة العمى والحزن، بسبب فراق يوسف، بحالة الإبصار والفرح بلقاء يوسف عليه السلام. وكذلك الشأن بالنسبة للملك، الذي كان كافرا تائها بين عابري الرؤى، لينتقل إلى مرحلة الإيمان بالله تعالى والثبات بعد تفسير رؤياه...

و الجدول الآتي سيبين سنة الاستبدال التي مرت بها بعض شخصيات القصة:

الجدول 1: تجليات سنة التداول في بعض شخصيات القصة

	المرحلة الأولى (البداية)	المرحلة الثانية (النهاية)
يوسف	الضعف – الخوف – الفراق السجن- العبودية..	القوة – السيادة – اللقاء – العلم- الأمن – الحرية...
يعقوب	الحزن – الفراق..	الفرح – اللقاء..
الملك	الجهل – الكفر..	اليقين – الإيمان..
الإخوة	الحسد والغل – الكيد – الكذب..	الندم – الصدق – طلب العفو..
امرأة العزيز	الكيد – الاستقواء – الانكار..	الندم – الاعتراف – طلب العفو..

وبالعودة إلى المقصد الكلي للسورة ومقاصدها الجزئية وعلاقتها بسنة التداول، نجد أن مقصدها الكلي، المتمثل في أخذ العبر والدروس من قصة يوسف عليه السلام، كان حاضرا فيها. فالمسلم عليه أنْ يوقن بأنّ دوام الحال من المستحيل، فكم من غني انقلبت به الأحوال وصار فقيرا، وكم من فقير صار بفضل الله تعالى غنيا، وكم من سقيم عافاه الله تعالى من مرضه، وكم من معافا صار بقدر الله سقيما...

ومن مقاصد القصة:

- الصبر: فيوسف عليه السلام صبر لفراق أبيه، وصبر لأذى إخوته، وصبر لظلمات السجن، فكانت النتيجة أن عوضه الله تعالى بالفرج واللقاء بوالده وأهله. وقيمة الصبر تجلت أيضا عند يعوب عليه السلام الذي صبر لفراق ابنه، وفقدانه لنعمة البصر ، فكان جزاؤه أنْ ردّ الله تعالى عليه ابنه وبصره.
- العفو: وهي قيمة تجلت في آخر القصة، حيث عفا يوسف عليه السلام على إخوته {قال لا تثريب عليكم اليوم} أي لا تأنيب عليكم ولا لوم ولا عتاب، {يغفر الله لكم} لأن الله تعالى يغفر لمن تاب

من ذنبه وندم على مافعل، وكذلك يجب أن نكون نعفوا عمّن أساء إلينا بمجرد لأن يعترف بذنبه ويعتذر، فالسعيد حقا هو من يسامح ويعفو، فمن علامات القرب إلى الله تعالى توفيقه للعفو والصفح.

- الصدق والأمانة: إنّ قيمة الصدق والأمانة كانت واضحة في معرض القصة، حيث إنّ يوسف عليه السلام اتصف بهذه الخصلة الحميدة التي أوصلته إلى أعلى هرم الدولة، وقربته من الملك الذي قال –لمّا علم ببراءة يوسف وحُسن خلقه–: {ائتوني به أستخلصه لنفسي} أي أجعله من المقربين، ومن أهل مشورتي، وأضعه في المكانة العظيمة التي تليق به، {إنّك اليوم لدينا مكين أمين}.

إنّ الله عز وجل أراد أن يبين لعباده من خلال قصة يوسف أن سنة التداول سارية وثابتة على كل الخلق، فالمؤمن الصابر المحتسب العفو والصادق الأمين لابد له من جزاء في الدنيا وفي الآخرة.

وبالعودة إلى سياق نزول هذه السورة وعلاقته بسنة التداول، نجد أنّ الله عز وجل أراد بهذه السورة تثبيت قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، خصوصا وأنّ المرحلة التي كان يمر منها كانت عصيبة عليه وعلى صحابته الكرام، فنزول هذه السورة، التي تناولت قصة يوسف كاملة، دليل على قرب الانفراج والخروج من الضيق، فهذا الربُّ الذي أبدل سيدنا يوسف الضعف بالقوة والفراق باللقاء والعبودية بالسيادة والمكانة.. قادر على أنْ يسخر لك –يامحمد– هذه السنة ويبدلك الإعراض والجفاء بالإقبال والترحيب، إذْ سيعوضه الله تعالى إعراض وجفاء كفار قريش الذين آذوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجوه من دياره، بإقبال أهل المدينة المنورة وترحيبهم به.

ب. تجليات سنة النصر والتمكين:

لقد هيأ الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام أسباب النصر والتمكين، إذْ علمه من تأويل الأحاديث وأتاه الحكمة، لكن هذا النصر والتمكين جاء بعد معاناة وإخفاقات كثيرة.

إنّ أحداث قصتنا في معظم أطوارها تحكي عن معاناة كان بطلها يوسف عليه السلام، بدأت بالمعاناة مع الإخوة، ثم المعاناة مع امرأة العزيز والنسوة، لتنتهي بمعاناة السجن... وفي الأخير شاء الله تعالى أن يجازي نبيه الكريم بالنصر والتمكين، حيث بدأت بوادره تظهر في السجن عندما فسر يوسف لصاحبيه رؤياهما.

لقد أيد الله تعالى نبيه بالعلم، فيوسف عليه السلام لم يكن يمكن لا مال ولا جاه ولا جيش.. وهي أسباب مادية تفضي إلى النصر والتمكين، وإنما تسلح بالعلم والصدق ليصل إلى مبتغاه. {وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون}، والحديث هنا عن الذي نجا من السجن –من صاحبي يوسف– وعاد إلى خدمة الملك، ولقد شكل نسيانه وصية يوسف سببا في تأخير النصر والتمكين، وتأخر

النصر أمر وارد إما لعدم توفر شروطه بعضها أو كلها، أو لتخلف من يسعى لتحقيقه عن اتباع أسباب النصر. "وإن نصر الله آت، كما في قوله تعالى: {وكان حقّا علينا نصر المومنين} (الروم: 47)، ولكن حكمة الله عز وجل وعلمه وعزته اقتضت أن يكون ذلك بجهد البشر من عباده المؤمنين، الذين أخذوا بشروط النصر وأصوله" (الجليل، 1439، صفحة 164).

يعد صبر وصدق يوسف عليه السلام عاملا رئيسا في نيله مكانة مرموقة عند الملك، فقد كانت صفة الصدق معروفة عليه في كل مراحل القصة حتى وهو في السجن، حيث قال الرجل الذي جاءه لتفسير رؤيا الملك: { يوسف أيها الصديق}، ولفظة (صدّيق) هنا تدل على كثرته والاتصاف به في جميع الأحوال، فهي صيغة مبالغة من الفعل (صدق). وهذه الصفة هي التي أوصلته إلى ما وصل إليه، فقد كان باستطاعته أنْ ينتقم ممَّن آذوه، وذلك بالامتناع –مثلا– عن تفسير رؤيا الملك، مما سيؤدي إلى مجاعة ستعصف بكل سكان مصر والأمصار المجاورة لها.

فعندما علم الملك ببراءة يسف وأمانته وحسن خلقه، قال: {ائتوني به أستخلصه لنفسي}، فجعله من المقربين ومن أهل المشورة، وأعطاه المكانة التي تليق به وأمّنه على كل شيء {إنك اليوم لدينا مكين أمين}.

إنّ علاقة هذه السنة –سنة النصر والتمكين– بالمقصد الكلي للقصة تتجلى في أنّ رب العزة يريد من عبادة المؤمنين أنْ يقتدوا بنبيه يوسف عليه السلام، فهو قدوة لكل مؤمن أراد أن ينتصر على أعدائه ويُمكَّن له في الأرض، لكن لا يتأتى ذلك إلا بتوفر شروطه، والتسلح بالإيمان والصبر.

كما أن المقاصد الجزئية للقصة تتوافق مع سنة النصر والتمكين، لأن الله تعالى يُعلِّم عباده أن طريق النصر محفوف بالمخاطر والصعاب، وعلى العبد أن يكون صبورا وأن يعلم أنَّ نصر الله آت لا محال. فكن أيها العبد الساعي للنصر والتمكين مثل النبي يوسف في:

- صبره: صبر على ظلم إخوته، وفراق أبيه وأهله، وتسلط امرأة العزيز، وظلمات الجب والسجن...
- وصدقه؛ فقد كان صادقا مع ربه أولا ومع أبيه عندما قصّ عليه رؤياه، ومع سيده عندما راودته امرأته عن نفسه، ومع صاحبيه في السجن لَمّا فسر لهما رؤياهما، ومع الملك عندما قدم له تعبير رؤياه، فكان سببا في انقاذ البلاد من المجاعة...
- وعَفوِه: فقد عفا على إخوته وهم الذين آذوه وألقوه في الجب، وكان عفوا على امرأة العزيز التي اتهمته بالخيانة، وكانت سببا في دخوله السجن.

أما سياق النزول وعلاقته بسنة النصر والتمكين فقد تجلت في أنّ الله تعالى، أنزل هذه السورة التي تعرض لقصة يوسف عليه السلام حتى يبين لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنَّ نصر الله آت، فكما نصر الله تعالى يوسف ومكن له في الأرض، سينصرك يا محمد على أعدائك ويمكّن لك في الأرض.

فالقصة تحمل إيحاءات عديدة، منها ما ذكره سيد قطب والمتعلقة بـ "الإخراج من مكة إلى دار أخرى يكون فيها النصر والتمكين؛ مهما بدا أن الخروج كان إكراها تحت التهديد ! كما أخرج يوسف من حضن أبيه ليواجه هذه الابتلاءات كلها. ثم لينتهي بعد ذلك إلى النصر والتمكين" (قطب، 1976، الصفحات 1951-1952).

إنّ الله تعالى أجرى سنة النصر والتمكين على رسوله محمد عندما استيأس – كما استياس يوسف في محنته الطويلة– وكان التلميح بالمخرج المكروه الذي يليه الفرج المرغوب، فدخول يوسف السجن في ظاهره ابتلاء، لكنه يحمل من الفرج والخروج من الضيق ما لا يظهر إلا للمؤمن العارف بالله، ونفس الشيء ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم الذي أُخرج من مكة، فالإخراج في ظاهره نقمة ومكروه، لكن باطنه خير كله، هو إخراج سيَليه دخول بعزة ونصر.

5. خاتمة:

يمكن إجمال نتائج هذه الدراسة فيما يأتي:

- القصص القرآني غني بالدروس والعبر، وعلى الدارسين العمل على استنباطها وبيانها للناس.
- إنّ لِلَّه تعالى القدرة على استبدال حال بحال آخر، فسنة التداول من سننه تعالى الجارية على جميع خلقه.
- سنة النصر والتمكين لاتتأتى للمؤمن إلا إذا سلك طريقها، واتصف بالصبر والعزم.
- الله تعالى يبتلي عباده ليعلم المؤمن من الكافر والصادق من الكاذب والشاكر من الجاحد.
- حال أغلب الناس إذا ابتلاهم الله تعالى تضيق صدورهم ويقل صبرهم ويكثرون من الشكوى.
- إنَّ عطاء الله تعالى ليس له حدود، ومن ينصره فلا غالب له.

ومن المقترحات والتوصيات ذات الصلة بالبحث ما يلي:

- لابد من دراسة القصص القرآني بنوع من التبصر، لما فيه من العبر والدروس التي تنفع الأمة في الحاضر والمستقبل.
- العمل على تجريب ما جدّ من المناهج في تحليل النصوص القرآنية، لكن دون الإخلال بالمعنى أو ليّ أعناق النصوص حتى تساير هذه المناهج.

- على المرء المسلم أنْ يتّعض بما وقع لسيدنا يوسف في هذه القصة، وأن يوقن بأن الله تعالى هو المبدل للأحوال والمُيسِّر للنصر والتمكين.

6. قائمة المراجع :

1. القرآن الكريم، رواية ورش.
2. ابن منضور الإفريقي. (2010). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
3. أبو عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر القرطبي. (2006). الجامع لأحكام القرآن: والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. بيروت: مؤسسة الرسالة.
4. إميل بديع يعقوب، و ميشال عاصي. (1987). المعجم المفصل في اللغة والأدب. بيروت: دار العلم للملايين.
5. رشيد رضا محمد. (1974). تفسير المنار. جدة: دار المنار.
6. سيد قطب. (1976). في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق.
7. صلاح عبد الفتاح الخالدي. (2020). مع قصص السابقين في القرآن. دمشق: دار القلم.
8. عبد العزيز بن ناصر الجليل. (1439). السنن الإلهية والوقفات التربوية في ضوء سورة الأنعام. مصر: القسطاوي للطباعة والتجليد.
9. عبد الكريم زيدان. (1993). السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. بيروت: مؤسسة الرسالة.
10. علي محمد الصلابي. (2009). فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم: أنواعه، شروطه، أسبابه، مراحله وأهدافه. بيروت: دار المعرفة.
11. عمر سليمان الأشقر. (2007). صحيح القصص النبوي. الأردن: دار النفائس.
12. فخر الدين الرازي. (1981). تفسير الفخر الرازوي. دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر.
13. مجد الدين الفيروزآبادي. (2005). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
14. محمد سليمان الأشقر. (1995). معجم علوم اللغة العربية. بيروت: مؤسسة الرسالة.
15. وهيبة الزحلين. (1991). التفسير المنير. لبنان: دار الفكر المعاصرة.
16. توفيق، بن أحمد الغلبزوري.(د.ت). السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، https://ebook.univeyes.com/91981/pdf.